

التراث العربي في المغرب

لأستاذ

وقضية التواصل بين المشرق والمغرب — محمود محمد الطناحي

— 1 —

الاندلسي ، في ترجمة الغازي بن قيس المتوفى سنة 199 ، قال : « كان ملتزما للتأديب بقرطبة أيام دخول الامام عبد الرحمن بن معاوية رضى الله عنه الاندلس ، ثم رحل الى المشرق ، وشهد تأليف مالك للموطأ ، وهو أول من أدخله الاندلس ، وأدرك نافع ابن أبي نعيم — أحد القراء السبعة — وقرا عليه ، وهو أول من أدخل قراءته » (1) .

وفي ترجمة جودى النحوى المتوفى سنة 198 ، قال : « هو جودى بن عثمان ، من أهل مورور — قريبا من قرطبة — ورحل الى المشرق ، فلقى الكسائى والفراء وغيرهما ، وهو أول من أدخل كتاب الكسائى ، وله تأليف في النحو » (2) .

وهذا قاسم بن أصبغ محدث الاندلس الكبير ، يرحل الى المشرق مع محمد بن عبد الملك بن أيمن ، ومحمد بن زكريا بن أبي عبد الأعلى ، فيسمع بمكة ومصر من علمائها ، ويدخل العراق فيسمع من البرد وتعلب ، ويروى عن ابن قتيبة كثيرا من كتبه » (3) .

وقد رايت بخزانة القرويين بفاس نسخة عتيقة جدا من كتاب ابن قتيبة المسمى : « تأويل مشكل القرآن » برواية قاسم بن أصبغ هذا ، عن ابن قتيبة ، بمنزله ببغداد ، في شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين ومائتين .

وتصور لنا كتب التراجم اقبال أهل المغرب على علمائهم العائدين من المشرق ، لسماع ما تلقوه عن علماء مكة والعراق ومصر والشام (4) . ولقد بلغ من حرصهم وشدة تتبعهم أنهم كانوا يسألون كل قادم من المشرق ، ولو كان من التجار . روى الزبيدي عن أخيره

من مكرور القول ومعاد الكلام أن الأمة العربية قد احتشدت لتسجيل تراثها وجمعه في جهاد دائم : لم تشهده أمة من الأمم ، ولم تعرفه ثقافة من الثقافات ، ولم يقف هذا الجهاد عند مصر من الأمصار ، أو يكتفى بقطر من الاقطار ، بل امتد الى كل بلد طالته يد الاسلام .

وقد اقتضت طبائع الزمان والمكان أن تشهد بلاد المشرق الخطوات الاولى لذلك التسجيل والجمع ، ابتداء من منتصف القرن الثاني الهجرى .

ولم يكن المغاربة والاندلسيون يتسامعون بأنباء هذا النشاط الذى كانت تغلى به حلقات الدرس ومجالس العلماء في البصرة والكوفة ، وصرير اقلام النساخ في مكة والمدينة ومصر والشام حتى ولو وجوههم شطر المشرق العربى بنفس مشوقة وقلب لهيف .

والمتبع لحركة التأليف العربى في خطواته الاولى يروعه هذا الحشد الهائل من العلماء وطلاب المعرفة . فأى بركان هذا الذى فجره كتاب الله المنزل على النبى الامى ، ففتح به آذانا صبا وقلوبا غلفا ؟ وأى ضياء وهاج ذلك الذى جاء به الدين الجديد ، فأزاح ظلمات القرون والاحقاب ؟

انسالت افواج المغاربة على المشرق ، يشافهون العلماء ويروون العلم ويستنسخون الكتب ، وقد استفاضت كتب التراجم والرجال بأخبار هذه الرحلات ، وقد بدأت رحلات المغاربة والاندلسيين الى المشرق منذ اواخر القرن الثانى الهجرى ، مواكبة لحركة الجمع والتدوين ، مصاحبة لنشأتها . فكر أبو بكر الزبيدي

* زار كاتب المقال المغرب مرتين عضوا في بعثة معهد المخطوطات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وقد نشر مقاله هذا في حلقين بمجلة « الثقافة » القاهرية المعدادان 27 — 28 — ديسمبر — يناير 1975 .

يقولون : ان ابن زيدون بحترى المغرب (9) ، وان ابا بكر الزبيدي الاشبيلي ، صاحب كتاب « مختصر العين » في المغرب بمنزلة ابن دريد في المشرق (10) ، وان ابا الحسن بن بسام الشنتريني صاحب كتاب « الفخيرة في محاسن اهل الجزيرة » قد تأثر بأبي منصور الثعالبي ونسج على منواله في كتابه « بتيمة الدهر في محاسن اهل العصر » (11) . الى غير ذلك من الامثلة .

ولئن قبلت هذه المقالة في القرون الاولى للتصنيف ، فانها بحاجة الى مراجعة فيما تلا ذلك من قرون . ولقد كان ظهور القاضي ابي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي المولود بمدينة سبتة - رد الله غربتها - سنة 476 ، والمتوفى بمدينة مراكش سنة 544 ، ايدانا باستقلال الشخصية المغربية وامتلاكها لناصية البيان واسهامها في جلاء وجه الثقافة الاسلامية وعياض ركن من العلم باذخ ، وله طرائق في العلم مأنوسة ، كتب الكثير ، وتمثل تأليفه اضافات هامة في تاريخ الفكر الاسلامي ، وقد رزقت مصنفاته من الحظوة وحسن القبول والتلقى ما لم يرزقه مؤلف مغربي آخر (12) . ومما يشيع على السنة المغاربة قولهم : « لولا عياض لما ذكر المغرب » . ويقول شاعرهم :

كلهم حاولوا الدواء ولكن
ما اتى بالشفاء الا عياض

والمعنى الثاني المراد من التورية في قوله : « بالشفاء » هو كتاب عياض الجليل : « الشفا في التعريف بحقوق المصطفى » أشهر واسير كتب الشائل النبوية .

تتابعت جهود المغاربة في التصنيف عالية شامخة . وبدءا من القرن السادس لم يعد للمشاركة فضل سبق عليهم ، بل نراهم قد زاحموا المشاركة على فنين عظيمين من فنون التراث : علم القراءات ، وعلم النحو .

أما علم القراءات فعنايتهم به قديمة ، وتصانيفهم فيه مبسطة ، ويرى الاستاذ الدكتور عبد العزيز الاهواني أن : هذا هو الميدان الوحيد الذي سيطر عليه المغاربة سيطرة تامة (13) . وبحسبنا أن نذكر من فرسان هذا الميدان : ابا عمرو الداني ومكي بن ابي طالب و ابا العباس المهدوي واسماعيل بن خلف ، وغيرهم كثير ثراهم في فن القراءات من مهارس المكتبات . وبحسبنا ايضا أن نعرف أن أشهر نظم في هذا الفن ، وهو المسمى : حرز الاماني ووجه التهاني ، والمعروف

عن عبد الوهاب بن عباس بن ناصح ، قال : « كان ابي لا يقدم من المشرق قادم الا كشفه عمن نجم في الشعر بعد ابن هرمة ، حتى اناه رجل من التجار ، فأعلمه بظهور حسن بن هانيء » (5) . يعنى ابا نواس . وقد كان لاستيلاء بنى أمية على بلاد المغرب بعد ذهاب دولتهم في المشرق ، اثر كبير في اذكاء روح العربية بتلك البلاد ، ويؤثر عن عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل اول خلفاء بنى أمية بالاندلس ، الكثير من البر بالعلماء والاجلال لهم ، وكذلك سار بنوه من بعده ، دعما لقواعد الملك ، واستكمالا لمظاهر الخلافة . وقد تناهت انباء هذا البر وذلك الاجلال الى المشرق ، فسعى ادباؤه الى هناك ، حيث عطايا الخلفاء موصولة بهبات الوزراء . ذكر ياقوت في ترجمة ابي الفرج على بن الحسين الاصبهاني صاحب كتاب « الاغانى » ، قال : « وله بعد تصانيف جياذ فيما بلغنى كان يصنفها ويرسلها الى المستولين على بلاد المغرب من بنى أمية ، وكانوا يحسنون جائزته ، لم يعد منها الى الشرق الا القليل . والله اعلم » (6) . وقد سمي هذه التصانيف الوزير جمال الدين القفطى (7) .

وهذا أحد اعلام الادب العربي في المشرق : ابو على اسماعيل بن القاسم البغدادى القالى ، صاحب كتاب « الامالى » يفد على القيروان سنة 329 ، وقد جلب في قافلته احمالا كثيرة من نفائس المؤلفات المشرقية ، ما بين لغوية وادبية وتاريخية ، ودواوين الشعراء الجاهليين والمخضمين والمولدين ، فباع منها في مدة عام كامل ما شاء أن يبيع لاهل افريقية ، ثم تحول بعد ذلك في سنة 330 الى الاندلس بما بقى له منها . وقد حفظ لنا ابو بكر بن خير الاشبيلي قائمة بأسماء هذه الدواوين في فهرست ما رواه عن شيوخه (8) .

تواصل ادباء المشرق والمغرب ، وان ظلت رحلات المغاربة الى المشرق أكثر وادوم لاسباب كثيرة ، من أبرزها أن المشرق كان ولا يزال طريق المغاربة للحج ، الركن الخامس من اركان الدين الحنيف .

وحين انتدب المغاربة للتصنيف والكتابة ظهر في نتاجهم مثابه من مناهج المشاركة وطرائقهم في الكتابة ما حدا ببعض النقاد والمؤرخين أن يربطوا بين الانتاج لمشرقي والمغربي ، على نحو يريد أن يثبت دائما أن المغاربة قد تأثروا بالمشاركة في كل ما يعالجون ، فهم

رابعة ، ذكر المستشرق كارل بروكلمان أنها محفوظة بالمكتبة الاهلية بباريس ، ولا أعلم من حالها شيئا فاذكره .

وقد ذهبت مؤلفات المغاربة النحوية بالذيع والشهرة في معاهد الدرس والتعليم مشرقا ومغربا ، فهذه الفية ابن مالك الجبائي الاندلسي تحظى بالشهرة ، ويتلقاها الناس بالقبول ، ويرجعون اليها في ضبط قواعد النحو والصرف ، ويأخذون بها ناشئتهم وصبيانهم (18) .

وهذا متن الاجرومية ، لم يطاوله متن آخر : ضبطا لقواعد النحو وحصر المسائل ويسرا في صياغته ، ولا يزال موضع التلقى والقبول الى يوم الناس هذا . وصاحب هذا المتن هو : ابو عبد الله محمد بن محمد ابن داود الصنهاجي ، عرف بابن آجروم ، ومعناه بلغة البربر : الفقير الصوفي . وهو من أهل فاس .

وفيما عدا هذين الفين شارك المغاربة في سائر فنون التراث ، درسا وتصنيفا ، ثم كان لهم فضل اظهار آثار المشاركة : شرحا لها وكشفا لغوامضها .

فهذا ابو عبيد البكري الاندلسي يعمد الى نصين جليلين من تأليف المشاركة ، بالشرح والبيان : الاول كتاب « الامثال » ، لابي عبيد القاسم بن سلام البغدادي ويسمى البكري شرحه لهذا الكتاب : فصل المقال في شرح كتاب الامثال . وهذا الشرح قد « احتوى على اكمل تعليقات وتفسير قديمة ومهمة على ذلك الكتاب ، كما احتوى مادة رائعة لا توجد في غيره من كتب الامثال الاخرى » (19) .

والثاني : كتاب « الامالي » ، لابي على القالي البغدادي . ووسم ابو عبيد شرحه لذلك الكتاب : اللالي في شرح آمالى القالي . ونشره العلامة عبد العزيز الميمنى باسم : سمط اللالي .

ثم يتصدى ابن السيد (بكسر السين) البطليوسي ، بالشرح والبيان لاحد اصول الادب الاربعة ، وهو كتاب ابن قتيبة البغدادي المسمى : « ادب الكاتب » ، او : « ادب الكتاب » . واسم هذا الشرح : الاقتضاب في شرح ادب الكتاب . وهو من اجل شروح الكتاب ، كما يقول صاحب كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون .

وحين فرغ ابو محمد الحريري البصري من انشاء « مقاماته » الادبية المعروفة ، تعاقب عليها الشراح

بالشاطبية ، صاحبه مغربي اندلسي ، وهو : القاسم ابن فيرة بن خلف الرعيني الاندلسي الشاطبي ، وقد صار نظمه هذا العمدة في ذلك الفن وتعاقب عليه الشراح من المشرق والمغرب ، ولا يزال يتصدر برامج الدراسة في معهد القراءات بالازهر الشريف . ولم تقتصر عناية المغاربة بعلم القراءات على امتداد الايام وتصرف الاحوال ، وقد تعرفت اثناء رحلتى الاولى الى المغرب ، على شاب من ريف المغرب ، في منزل الاستاذ العلامة محمد المنوني بمدينة الرباط ، وكان هذا الشاب آية في معرفة القراءات العشر بطرقها ورواياتها المختلفة ، يحفظها ويستشهد لها من الكتاب العزيز في سهولة ويسر . وقد اخبرنى الاستاذ المنوني ان لهذا الشاب نظائر كثيرة في بلاد المغرب ، وبخاصة في الريف .

واما علم النحو فلامغاربة احتفال به زائد ، وقد ظهر اهتمامهم له مبكرا . هذا ابو عبد الله حمدون بن اسماعيل ، من قدماء المغاربة القرويين ، كان يحفظ كتاب سيبويه ، وقد توفي حمدون هذا بعد المائتين (14) . وقد وقف المغاربة على قدم واحدة مع المشاركة في العناية بكتاب سيبويه امام النحاة : شرحا او تعليقا او اختصارا (15) .

ذكر جلال الدين السيوطي في آخر كتابه « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » وهو يسرد موارده في تأليف الكتاب ، قال : « واما المغرب فاهله اصحاب اعتناء شديد بذلك ، والنحاة به جم غير » (16) .

ويورد جمال الدين القفطى كلاما جيدا يشهد لذلك ، يقول في ترجمة ابي محمد عبد الله بن على بن اسحاق الصيمري النحوي : « قدم مصر ، وحفظ عنه شيء من اللغة وغيرها ، وصنف كتابا في النحو سماه « التبصرة » واحسن فيه التعليل على مذهب البصريين ، ولاهل المغرب باستعماله عناية تامة ، ولا يوجد به نسخة الا من جهتهم » (17) .

ويقوى كلام القفطى هذا انى عرفت ثلاث نسخ مخطوطة من هذا الكتاب ، كلها مكتوبة بخط اندلسي مغربي عتيق : النسخة الاولى محفوظة بمكتبة الامبروزيانا بميلانو ، كتبت سنة 582 ، والثانية بالخزانة العامة بالرباط ، نسخت سنة 597 ، والثالثة بخزانة القرويين بفاس ، وهى من خطوط القرن السادس في اكبر الظن . وبقي من هذا الكتاب نسخة

بالتفسير والبيان ، حتى بلغت شروحيها أكثر من خمسة وثلاثين شرحا ، ما بين مشرقى ومغربى . ومن أعظم هذه الشروح واجمعها للفرائب والفرائد شرح أبى العباس الشريشى الأندلسى .

ولم يعرف للسيرة النبوية التى صنفها محمد بن اسحاق شرح أوعب وأكثر جمعا للفوائد والشوارد ، من شرح أبى القاسم السهيل الأندلسى المسمى : الروض الأنف والمشروع الروى فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى .

والمشتغلون بتاريخ المذاهب الفقهية الإسلامية يعرفون أن أهم شروح مذهب مالك بن أنس رضى الله عنه ، إنما جاءت من قبل العلماء المغاربة الذين أكثروا التصنيف فيه ، ما بين مختصر وبسيط . وذلك لغلبة مذهب مالك على أهل هذه الديار .

ولن يتسع المقام لأكثر من هذه المثل ، وهى كثيرة مفرطة فى الكثرة . وحسبنا أن نختم بذكر اثر خطير من آثار الفكر الإسلامى ، نشط له المغاربة ، وتناولوه بالشرح والتعليق ، على حين قصر غيرهم ، استعظاما لشأنه ، وتبينا من مسالكة ، ذلك هو كتاب « البرهان » فى أصول الفقه ، لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله ابن يوسف الجوينى (بضم الجيم وفتح الواو : نسبة الى جوين ، بلدة من نواحي نيسابور) من أئمة علماء الشافعية فى القرن الخامس . يقول تاج الدين السبكي عن هذا « البرهان » : « اعلم أن هذا الكتاب وضعه الإمام فى أصول الفقه ، على أسلوب غريب ، لم يقتد فيه بأحد ، وأنا اسميه لغز الأمة لما فيه من مصاعب الأمور ، وأنه لا يخلو مسألة عن اشكال ، ولا يخرج إلا عن اختيار يخترعه لنفسه ، وتحقيقات يستبد بها . وهذا الكتاب من مخترعات الشافعية ، وأنا أعجب لهم ، فليس منهم من انتدب لشرحه ولا للكلام عليه ، إلا مواضع يسيرة تكلم عليها أبو المظفر بن السمعانى فى كتاب « القواطع » وردھا على الإمام ، وأنا انتدب له المالكية ، فشرحه الإمام أبو عبد الله المازرى شرحا لم ينمه ، وعمل عليه أيضا مشكلات ، ثم شرحه أيضا أبو الحسن الإبنارى من المالكية ، ثم جاء شخص مغربى ، يقال له : الشريف أبو يحيى ، جمع بين الشرحين . »

ويقول السبكي فى موضع آخر عن المازرى : « هذا الرجل كان من انكى المغاربة قريحة واحدهم

ذهنا ، بحيث اجترا على شرح « البرهان » لإمام الحرمين ، وهو لغز الأمة الذى لا يحوم نحو حماه ، ولا يندندن حول مفزاه الا غواص على المعانى ، ثاقب الذهن ، مبرز فى العلم » (20) .

— 2 —

ويداول الله الايام بين الناس ، فتتهاوى عروش ، وتسقط دول ، وتتداول أمم تريد أن تنقض كيذا ومكرا ، وتعرض الأمة الإسلامية مشرقا ومغربا لخطوب وفتن كقطع الليل المظلم تسمى لتفتالها اغتيالا .

وفى غمار تلك الاحداث التى صكت المسامع وخلعت القلوب لم تذهل هذه الأمة عن تراثها الذى شرفت به ، ولم ترض أن تسلم حتى يسلم معها ، كالام تحضن طفلها وسط الحريق المدمر ، لا يهملها ان تنجو حتى تنجو به .

ولقد كان من صنع الله ولطفه ان هذه الفزوة التترية الكاسحة على المشرق العربى منتصف القرن السابع ، لم تمد شواظها الى بلاد المغرب ، فظلت خزائنها عامرة بالكتب ، ومجالسها مأنوسة بالعلم والعلماء .

وتتمادى الايام ولا يفتر حماس المغاربة لجمع المخطوطات وتعهدها بالصيانة والرعاية ، ثم تتطور وظيفة الزوايا المغربية ، من مكان معد للعبادة وإيواء الواردين المحتاجين ، الى دور تجمع العلماء والكتب ، وتدعو الى الجهاد ومقاومة الاجنبى .

وفى القرن الثامن تكاثرت الزوايا وانتشرت فيما بين المغرب ومصر ، ايناسا وعونا لحجاج بيت الله الحرام لياووا اليها فى مراحل سفرهم الطويل ، وقد نمت حول هذه الزوايا مدارس استقر فيها طلبة العلم ، الامر الذى حدا بملوك بنى مرين أن يشيدوا كذلك مدارس بجانب المراكز التعليمية الكبرى خصوصا جامع القرويين بفاس (21) . ومن أشهر الزوايا فى المغرب : الزاوية الدلانية ، والناصرية والحزواوية ، وتضم هذه الزاوية الأخيرة مجموعة من نواذر المخطوطات ، كتب عنها وعرف بها الاستاذ العلامة محمد المنونى ، فى العدد الثامن من مجلة تطوان . ومن انفس مخطوطات هذه الخزنة الجزء الرابع من كتاب « غريب الحديث » لابن قتيبة ، بخط أندلسى ؟ وقع الفراغ من نسخه سنة 517 ، وهذا الكتاب نادر جدا فى مكتبات العالم . وتنبيهات وتعليق على كتاب « الكامل » للمبرد ، من تأليف أبى

عبيد البكري ، والوقشي ، والبطليلوسي ، وهذه التنبيهات والتعليق لا توجد في مكان آخر من مكتبات العالم ، فيما انتهى اليه علمي .

وفي العصر الحديث لم يستطع الاحتلال الفرنسي ان يطمس الوجوه العربية في المغرب فبردها على ادبارها بربرية او اعجمية . فهذا مسجد القرويين يموج بالعلم والمعرفة ، وينهض في المغرب بما ينهض به الازهر في المشرق . وقد ادرك المغاربة المعاصرون جلال هذا الموروث الضخم الذي آل اليهم ، فتلقوه بكلتا اليدين ، وشدوا يد الضنانة عليه ، ولقد بلغ من احتفالهم به وحرصهم عليه ان اقاموا حوله الجدر ، وبنوا عليه الحيطان ، خذرا عليه في بعض الاماكن التي خيف عليه فيها من بطش الباطشين واعتداء المعتدين .

ويبرز من بين رجالات هذا العصر عالم فحل ، قدم للتراث العربي يدا باقية ، حين سعى جاهدا وعمل مخلصا في جمعه وحفظه ، ذلك هو محمد عبد الحى ابن عبد الكبير الحسنى الادريسي الكتانى الفاسي ، عرف باسم : عبد الحى الكتانى .

كان هذا الرجل شغوفا بالكتب مولعا بجمعها ، مع علم غزير واطلاع واسع ، وقد وقف حياته على الكتب ، ونذر نفسه للعلم ، فطوف الكثير ، ولقى العلماء ، وكتب واستجاز من لم يلقيهم . يقول رحمه الله عن نفسه ، في مقدمة كتابه « فهرس الفهارس » : « فرحلت لاقتصى البلدان وشاسع الاطراف والسكان ، من حجاز ومصر وشام ، وتونس والجزائر وبلاد المغرب الاقصى حواضره وبواديه ، وكاتبت اهل الجهات البعيدة كالعراق واليمن والهند واصطنبول وصحراء افريقية شنجيت (موريتانيا الآن) وغيرها ، رغبة في الاستكثار ، فحصل لى من ذلك مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب احد من اهل جيلنا واقراننا » (22) . ولن تصدق هذا الكلام حتى ترى ذلك القدر الهائل من المخطوطات التي عمرت بها مكتبة الرجل ، والتي ضمت الى الخزانة العامة بالرباط (23) .

وقد قام هذا الرجل في المغرب بما قام به العلامة احمد تيمور في مصر ، فقد جمع هذا ايضا غرائب ونوادر من المخطوطات حفلت بها مكتبته العامرة التي ضمت الى دار الكتب المصرية وعرفت بمكتبة تيمور .

المكتبات العامة والخاصة في المغرب :

زرت المغرب مرتين ، عضوا في بعثة معهد

المخطوطات التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، من منظمات جامعة الدول العربية . وكانت المرة الاولى في صيف عام 1392 هـ - 1972 م ، والثانية في صيف هذا العام . وقضيت في الزيارتين ستة اشهر رابت فيها من عناية المغاربة بالمخطوطات وحرصهم عليها وصيانتهم لها ، ما يبهج النفس ، ويدل على ان الخير باق ، وان الله جلت قدرته لن يضيع تراث هذه الامة مهما تناوشها الاعداء واحاط بها المكرون .

والمخطوطات في المغرب تحتفظ بها المكتبات العامة التي تشرف عليها الدولة ، والخزائن الخاصة لدى العلماء . وتوجد المكتبات العامة في الرباط وفاس ومكناس ومراكش وتطوان . وقد اتيج لى ان ارى مكتبات الرباط وفاس وتطوان .

ففى الرباط مكتبتان عامرتان : الخزانة الملكية الملحقه بالقصر الملكى . والخزانة العامة التابعة لوزارة الثقافة .

وتزخر الخزانة الملكية بنوادر المخطوطات ، ومن انفس ما تضمه هذه الخزانة نص نادر لابى العلاء المعرى ، لا يعرف في مكتبة اخرى من مكتبات العالم الى يومنا هذا ، ذلك هو كتاب « الصاهل والشاحج » يتكلم فيه ابو العلاء على لسان فرس وبغل . وقد كان لظهور هذا الكتاب دوى هائل في الاوساط الادبية ، وقد كتبت عنه الاستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) اكثر من مرة بجريدة الاهرام . ونسخة هذا الكتاب مخطوطة سنة 638 ، بقلم اندلسي ، وفي الخزانة نسخة اخرى من خطوط القرن العاشر تقديرا ، وهى منقولة عن نسخة مكتوبة سنة 693 .

والى جانب هذا الكتاب النادر ، توجد مخطوطات اخرى نفيسة في الخزانة الملكية ، منها :

اصلاح المنطق - لابن السكت ، بقلم اندلسي نفيس سنة 591 .

الاصول في الهندسة - لاقليدس ، بقلم اندلسي نفيس سنة 683 .

البارع في احكام النجوم - لابن ابى الرجال ، الجزء الاول بقلم اندلسي نفيس سنة 706 ، والجزء الثانى من نسخة اخرى بقلم اندلسي نفيس سنة 361 . بغية الامل في ترتيب « الكامل » للمبرد . مؤلف مجهول . والكتاب مرتب على الفنون ، ومقسم على

أربعين بابا . والنسخة بقلم مغربي سنة 1283 ،
منقولة عن نسخة مكتوبة سنة 646 .

تاريخ علماء الاندلس — للخشنى ، بقلم اندلسي
عتيق سنة 483 .

تاريخ مكة — للزرقى ، بقلم نسخي قديم من
خطوط القرن السادس تقديرا .

تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم — للخزاعي . بقلم
اندلسي جيد سنة 876 . وهذا الكتاب هو الاصل الذي
بنى عليه العلامة عبد الحى الكنائى السابق ذكره ،
كتابه العظيم المسمى : التراتيب الادارية والعمالات
والصناعات والمناجر والحالة العلمية التى كانت على
عهد تأسيس المدينة الاسلامية فى المدينة المنورة العلية .
وهو مطبوع فى الرباط سنة 1346 .

دلائل الاعجاز — لعبد القاهر الجرجاني ، نسخة
قلم نسخي نفيس من خطوط القرن السابع تقديرا ،
بأولها توقيع لابن هشام النحوى ، ولابن الصائغ .

ديوان أبى تمام — برواية الصولى ، بقلم نسخي
نفيس سنة 664 ، منقولة عن نسخة مكتوبة سنة 381 .

ديوان جرير — برواية السكرى . نسخة نفيسة
تحتها الخطاط المبدع ياقوت المستعصمى سنة 689 .

ديوان سبط ابن التعاويذى ، بقلم اندلسي نفيس
سنة 724 .

ديوان ابن سهل الاسرائيلى — وهو ابراهيم بن
سهل الاشبيلي ، كان يهوديا واسلم — نسخة بقلم
اندلسي من خطوط القرن التاسع . والديوان مرتب على
ترواف الهجاء ، وعنى بترتيبه وتهذيبه ابن الدهان .

ديوان ابن مكائس — وفيه نثره ايضا — بقلم
نسخي سنة 989 .

السيرة النبوية — لابن اسحاق . رواية ابن
شمام . جزء منها بقلم اندلسي نفيس سنة 533 .

شرح الجمل فى النحو — للزجاجى . تأليف ابن
صائغ الكنائى . بقلم مغربي سنة 891 .

شرح دواوين الشعراء الستة الجاهليين — الجزء
الاول بقلم اندلسي جميل سنة 594 ، وبهامشه حواش
تعليقات .

طبقات النحويين واللغويين — لابی بكر الزبيدي
الاندلسي . نسخة بقلم اندلسي قديم من خطوط القرن
الخامس تقديرا ، وهذه هى النسخة الثانية من الكتاب ،
فلم يكن يعرف منه الا نسخة وحيدة بمكتبة نور عثمانية
بمدينة استانبول بتركيا . وعنها أصدر الاستاذ الجليل
محمد ابو الفضل ابراهيم نشرته الاولى للكتاب ، ثم
اعاد تحقيقه ونشره على هذه النسخة الثانية وصدر
عن دار المعارف بمصر منذ سنتين .

العباب فى اللغة — للصاغانى . خمسة اجزاء تمثل
نحو ثلثى الكتاب ، منها أربعة اجزاء بخط المؤلف نفسه ،
سنة 650 ، وخطه نسخي جيد . وهذا الكتاب من
كتب اللغة المعتمدة ، ويعد من المراجع الاساسية للمعجم
المعروف « تاج العروس فى شرح القاموس » .

وجود هذه الاجزاء الخمسة من « العباب » فى
الخزانة الملكية بالرباط يعد كسبا كبيرا ، فان هذا
الكتاب لا تكاد توجد منه نسخة كاملة فى اى من مكتبات
العالم الى الآن .

فضائل الشام — لابی سعد السمعانى . نسخة
بقلم نسخي نفس سنة 649 ، وعليها قراءة للامام
الصاغانى المذكور ، فى سنة كتابة النسخة . وحسب
معرفتى لا أعلم لهذا الكتاب الا نسخة واحدة بدار
الكتب المصرية .

كليلة ودمنة — ترجمة ابن المقفع — نسخة بقلم
نسخي نفيس من خطوط القرن الثامن ، وبها اشكال
ملونة تحكى أحداث القصة .

مختصر شرح مسائل حنين بن اسحاق فى الطب .
لمؤلف مجهول . نسخة بقلم نسخي حسن من خطوط
القرن الثامن .

المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير — للفيومى
نسخة بخط المؤلف ، كتبها سنة 737 والمصباح المنير
هو ذلك المعجم اللغوى المحرر الذى كان مقررا على
تلاميذ المدارس الثانوية فى مصر الى عهد ليس ببعيد .
المقتبس فى تاريخ علماء الاندلس — لابن حيان .
جزء منه بقلم اندلسي جيد من خطوط القرن السادس
تقديرا . وهذا « المقتبس » نادر وعزيز جدا فى مكتبات
العالم ، ويشغل به الآن الاستاذ الدكتور محمود على مكى
المنتخب من مسند عبد بن حميد الكشى — لمؤلف
مجهول . نسخة بقلم مغربي دقيق سنة 720 ، ويوجد
المسند نفسه بخزانة القرويين بفاس .

نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب — للمقرى
المتوفى سنة 1041 ، نسخة بخط المؤلف .

هذه مثل قليلة مما تضمنه الخزنة الملكية من
نفائس المخطوطات .

اما الخزنة العامة بالرباط فتتمثل المخطوطات
المحفوظة بها : الرصد العام للخزنة ، ثم مخطوطات
الخزائن الخاصة التي ضمت الى الخزنة العامة ،
حفظا لها وحرصا عليها ، ويأتى فى مقدمة هذه الخزائن
الخاصة : مكتبة عبد الحى الكتانى ، وبعدها مجموعة
الجلوى والحجوى ، ثم حصيلة الزاوية الحمزاوية
والزاوية الناصرية .

واذا كانت الخزنة الملكية تحتفظ بأثر نادر من
آثار المشاركة ، وهو كتاب « الصاهل والشاحج » الذى
ذكرت لك خبره من قبل ، فهذه الخزنة العامة تحتفظ
ايضا بكتاب نادر للجاحظ ، ذلك هو كتاب « البرصان
والعرجان والعميان والحوالن » الذى سجل فيه
الجاحظ ادب اصحاب العاهات ، مستطردا على جارى
عائته الى ذكر النوادر والغرائب .

لقد ظل هذا الكتاب المعجب يتردد فى بطون الكتب
القديمة دون ان تعرف له نسخة فى مكتبات العالم ،
حتى اكتشفه الشيخ البهائية السيد المختار السوسى ،
صاحب كتاب « المعسول » رحمه الله . وقف المختار
السوسى على هذا الكتاب منذ نحو أربعين سنة ، قابعا
فى الزاوية العياشية ببلدة بزو ، بين تادلة والسراغنة
جنوب شرقى الدار البيضاء . وتتوالى الايام ولا يفرط
المغاربة فى ذلك الاثر النادر ، حتى كانت زيارة الدكتور
صلاح الدين المنجد الى بلاد المغرب ، منذ نحو عشرين
سنة ، وهو اذ ذاك مدير معهد المخطوطات ، ويصعبه
عالم المخطوطات الكبير الاستاذ محمد ابراهيم الكتانى ،
الى بزو ، ويقدم له نفائس المخطوطات ومن بينها هذا
الكتاب الفريد ، الذى يقدم المغاربة صورة منه هدية
للمشاركة تحفظ بخزنة معهد المخطوطات بمصر ، ثم
يقوم الاخ الدكتور محمد مرسى الخولى بتحقيق هذا
الكتاب ونشره على تلك النسخة الوحيدة ، منذ ثلاثة
اعوام بمصر ، وكتب عنه نقدا عالم تطوان الكبير الاستاذ
محمد بن تاويت فى مجلة دعوة الحق المغربية ، عدد
جمادى الاخرة من هذا العام .

وليس كتاب الجاحظ هذا هو الاثر الوحيد الذى

تفرد الخزنة العامة بالاحتفاظ به دون مكتبات العالم ،
ومن ذلك ايضا :

تعليق من ايمالى ابن دريد ، نسخة بقلم نسخى
جيد ، سنة 641 .

الوسيط فى الامثال — للواحدى المفسر ، نسخة
يقلم نسخى نفيس من خطوط القرن السادس تقديرا ،
ولا يعيب هذه النسخة الوحيدة الا ان بها سقطا فى
وسطها .

وهذا الكتاب لم يرد له ذكر فى فهرس المكتبات ،
ولعل ذلك هو الذى دفع المستشرق الالماني رودلف
زلهام الى ان يقول : « ولا ندرى المقصود بما ذكره
البغدادى فى الخزنة 4 / 110 ، من قوله : قال الواحدى
فى امثاله » (24) .

مثال الطالب فى شرح طووال الغرائب (اى
الاحاديث الطويلة الماثورة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم)
— لجد الدين بن الاثير ، صاحب كتاب « النهاية » .
نسخة بقلم نسخى نفيس جدا . وقد اجتمع لهذه النسخة
من اسباب التوثيق والقبول مالا يكاد يجتمع فى نسخة
اخرى : فناسخها هو محمد بن نصر الله ، وهو ابن
اخى المؤلف ، والده ضياء الدين ابن الاثير صاحب كتاب
« المثل السائر فى ادب الكاتب والشاعر » . وقد فرغ
محمد من نسخ الكتاب سنة 606 ، ثم قرأه وسمعه
وصححه على عمه المؤلف ، وكتب صورة القراءة
والسمع عمه الثانى عز الدين بن الاثير المؤرخ صاحب
كتاب « الكامل » .

ديوان شعر — لعبد الكريم بن محمد بن عبد
الكريم القيسى الاندلسى ، كان حيا سنة 836 ، وليس
لهذا الشاعر ولا لديوانه ذكر فى اى مكان ، وتتجلى اهميته
البالغة فى انه عاش فى الاندلس اواخر ايام دولة الاسلام
هناك ، وقضى حقبة من حياته اسيرا عند الاسبان ،
وقال فى هذه الاثناء كثيرا من شعره ، كما سجل فى
شعره كثيرا من الاحداث فى عصره ، ورثى كثيرا من
المراكز الاسلامية التى عاصر سقوطها فى يد الاسبان (25)

والى جانب هذه المخطوطات الوحيدة التى تحتفظ
بها الخزنة العامة فى الرباط ، رايت نفائس اخرى .
منها : اعراب القرآن الكريم — لابی اسحاق الزجاج ،
نسخة فى عشرة اجزاء ، بقلم نسخى جيد سنة 383 .

مجموع بقلم نسخى نفيس جدا ، كتب سنة 351
— فيه من الكتب :

الموجز فى النحو — لابن السراج
الموفى فى النحو — لابن كيسان
كتاب النحو — للغدة الاصبهاني

شرح ما يكتب بالياء من الاسماء المقصورة
والانفعال — لان درستويه المقصور والممدود — لابي
عمر الزاهد .

كتاب الكتاب (اى الكتابة والخط والاملاء ، وفيه
كلام عن المذكر والمؤنث) لابن درستويه المذكر والمؤنث
— للمفضل بن سلمة .

كتاب الخط ، وكتاب القلم ، وكتاب العروض —
الثلاثة لابن السراج .

مختصر فى فك دوائر العروض — لبعض
العروضيين .

كتاب القوافى — لابي القاسم الطيب بن على
التميمي .

الاشتقاق — لابن دريد ، نسخة بقلم نسخى
جيد ، كتبها العالم المعروف احمد بن عبد القادر بن
مكتوم المتوفى سنة 749 . وهذه النسخة هى الثانية
المعروفة فى مكتبات العالم من هذا الكتاب الى الآن .
والنسخة الاولى محفوظة بمكتبة ليدن بهولاندة ، وعليها
كان اعتماد المستشرق الالماني وستنفلد فى نشرته سنة
1854 م ، ثم عول عليها ايضا استاذنا الجليل عبد
السلام هارون فى تحقيقه للكتاب .

التعازى والمراثى — للمبرد ، نسخة بقلم نسخى
نفيس سنة 757 ، وهذه هى النسخة الثانية ايضا من
الكتاب . والنسخة الاولى محفوظة بمكتبة الاسكوريال
باسبانيا .

انساب الاشراف — للبلاذرى ، نسخة كاملة
فى مجلد واحد ، ثم نسخها سنة 661 ، وهى اقدم نسخة
معروفة من الكتاب .

مقالة فى الادوية المضمونة المجربة — لجالينوس ،
ترجمة حنين بن اسحاق . نسخة كتبت سنة 683 .

وتحتفظ الخزانة العامة بعدة مخطوطات بخطوط
مؤلفيها ، عرفت منها :

غريب الحديث — لابن الجوزى ، فرغ من
تأليفه سنة 576 ، وخرجه من مبيضته سنة 581 .

ميزان الاعتدال فى نقد الرجال — للحافظ الذهبى
وفى آخر النسخة سماعات على المؤلف ، سنة
743 ، 745 .

مجموع يحتوى على عدة تأليف — لتقى الدين
السبكى المتوفى سنة 756 ، وعلى بعض هواشه خط
صلاح الدين الصفدى .

قطعة من كتاب طبقات الشافعية الكبرى — لتاج
الدين السبكى المتوفى سنة 771 ، ومن الغرائب ان هذه
القطعة من نفس النسخة التى يوجد منها جزء بدار
الكتب المصرية ، برقم 64 م (تاريخ مصطفى فاضل)
فانظر كيف تفرقت اجزاء النسخة الواحدة فى مكتبات
العالم !

وفى فاس العاصمة القديمة للمغرب توجد خزانة
جامع القرويين ، مخزنة البلاد المغربية على الاطلاق ،
فى رحابه تكون رجال وازدهرت معارف ، وقد وقف
كثير من الملوك والامراء والعلماء ، على خزانة هذا
الجامع ، العدد الوفير من المخطوطات فى شتى العلوم
والفنون ، وتزخر هذه الخزانة بالنوادير والنفائس ، ولا
سبيل الى ذكر كل ما رايته من هذه وتلك ، فحسبى
ان اجتزئ ببعض المثل ، فمن ذلك :

سير الفزارى — ويسمى كتاب السير فى الاخبار
والاحداث — لابي اسحاق ابراهيم بن محمد بن الحارث
الفزارى المتوفى سنة 188 ، والموجود من هذا الكتاب
الجزء الثانى ، فى 18 ورقة ، وهو مكتوب على رق
الغزال ، وتم نسخه فى شهر ربيع الآخر سنة 270
(مائتين وسبعين) ، وهذا تاريخ له خطره وجلاله
عند المشتغلين بتاريخ المخطوطات ، وعلى هذا الجزء
خط خلف بن عبد الملك بن بشكوال ، المؤرخ المشهور ،
صاحب كتاب « الصلة » فى تاريخ علماء الاندلس ، ثم
توجد عدة اجزاء من نسخة اخرى كتبت سنة 379 ،
وتقع فى 59 ورقة .

اجزاء من نسخ مختلفة من تفسير الامام جعفر
الطبرى ، على رق الغزال ، وبعض هذه الاجزاء مكتوب
سنة 391 .

مختصر ابي مصعب احمد بن ابي بكر الزهرى

— في فقه المالكية — نسخة بخط أندلسي عتيق سنة 359
النوادر والزيادات — لابن أبي زيد القيرواني ، في
فقه المالكية ، جزء منها على رق الغزال ، بقلم أندلسي
قوبل على نسخة المؤلف وهو على قيد الحياة سنة 383
كتاب الزهد والرقائق — لابن المبارك ، نسخة
بقلم أندلسي سنة 465 .

السيرة النبوية — لابن اسحاق ، برواية يونس
ابن بكير ، وهي رواية عزيزة جدا ، فان المطبوع المتداول
من سيرة ابن اسحاق انها هو من رواية عبد الملك بن
هشام ، ولم تعرف رواية ابن بكير هذه الا من خلال
النقول عنها ، عند ابن سعد وابن الاثير وابن كثير (26)
والموجود من رواية ابن بكير في الخزائن الاجزاء : الثاني
والثالث والرابع والخامس ، واحد هذه الاجزاء مكتوب
سنة 506 .

الالفاظ في اللغة — لابن السكيت ، رواية ثعلب ،
نسخة بقلم أندلسي على رق الغزال ، قرئت على العالم
اللغوي ابن السيد البطليوسي في منزله بمدينة بلنسية
سنة 511 .

السماء والعالم — في اللغة — لابي عبد الله محمد
ابن ابان اللخمي القرطبي المتوفى سنة 354 ، الموجود
منه الجزء الثالث بخط أندلسي قديم ، وبآخره ومقنية
سنة 855 ، ولا تعرف من هذا الكتاب نسخة في اي
من مكتبات العالم ، وهو من مراجع ابن سيده في كتابه
« المختص » .

البيان والتبيين — للجاحظ ، الجزء الثالث من
نسخة جليظة ، على رق الغزال بقلم أندلسي نفيس جدا
ضارب في القدم ، والنسخة مقابلة على اصول صحيحة
اصل الوقشي ، وابن سراج ، وعطاء بن البادش ،
وبحواشيها تعليقات قيمة من كتاب الموالي ، وكتاب
الحيوان للجاحظ .

الابانة في الوقف والابتداء ، في القرآن الكريم —
لابي الفضل محمد بن جعفر الخزاعي ، نسخة عتيقة
 بخط ابن الباذش النحوي المعروف ، فرغ من نسخها
سنة 520 .

كتاب مشبه النسبة ، ومعه المؤلف والمختلف
في اسماء والقباب رواة الحديث — كلاهما للحافظ عبد
الغنى ابن سعيد الأزدي المصري ، نسخة بخط نسخي
جيد سنة 536 .

كتاب خلق الانسان ، وكتاب الفرق ، في اللغة ،
كلاهما لثابت بن ابي ثابت ، نسخة بخط أندلسي سنة
600 ، وفي الخزائن نسخة اخرى من خلق الانسان ،
بها بعض النقص ، وهي بخط أندلسي قديم ، وهذا
« خلق الانسان » كان قد نشره الاستاذ المحقق عبد
الستار احمد فراج بالكويت منذ عشر سنوات ، عن
نسخة وحيدة محفوظة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب
المصرية .

تاريخ رواة الحديث — لابن ابي خيثمة ، الموجود
منه الجزء الثالث ، بقلم أندلسي سنة 610 ، وهذا
الكتاب عزيز جدا ، وقد عرفت ورايت منه قطعتين
صغيرتين : الاولى بالخزائن العامة بالرباط ، والثانية
بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ، على ساكنها افضل
الصلاة وازكى السلام .

مختصر تفسير ابي زكريا يحيى بن سلام التيمي
المتوفى سنة 200 ، تأليف ابي عبد الله محمد بن عبد
الله ابن ابي زمنين المتوفى سنة 399 ، نسخة بخط
أندلسي سنة 611 .

كتاب الاخلاق المسمى : نيقوماخيا — لارسطو ،
خط مغربي سنة 619 ، وبآخره مقالة في المدخل الى
علم الاخلاق يظن انها من تأليف نيقولاوش .

مجموع بخط أندلسي سنة 636 ، فيه كتاب
الاضداد للتوزي ، وكتاب الفرق بين الحروف الخمسة ،
وكتاب المثلث في اللغة ، كلاهما لابن السيد البطليوسي .

البيان والتحصيل — في فقه المالكية — لابن رشد
الجد ، نسخة مزينة بخط أندلسي دقيق على رق غزال ،
كتبت سنة 720 ، وتفيد هذه النسخة المعنيين بدراسة
الخطوط وتطورها ، فقد كتبت بقلم أندلسي دقيق ومنسق
جدا ، وبلغ عدد صفحاتها 640 صفحة ، في كل صفحة
75 سطرا ، وهذا نمط في الكتابة قل ان يوجد في
المخطوطات العربية ، واوراق النسخة كلها من بطن
الغزال ، وهو ارق شيء فيه ، ولك ان تقدر كم من
الغزلان استخدم في كتابة هذه النسخة .

كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر (تاريخ ابن
خلدون) ، الموجود منه الجزآن الثالث والخامس من
النسخة ذات الاجزاء السبعة التي وقفها ابن خلدون
على خزانة جامعة القرويين ، بتاريخ شهر صفر سنة
799 ، وعليها خط يده .

كتاب في السياسة — لابی بكر محمد بن الحسن المرادی المتوفى سنة 489 ، نسخة مكتوبة سنة 843 . منظومة رجزية في علم الطب العام — لابن الطفیل الفیلسوف ، الرجز مرتب على سبع مقالات تتجاوز عدد أبياته 7700 بيت ، ويقول بعض المغاربة الذين قرأوا هذه الأرجوزة أن ابن الطفیل تكلم فيها على مرض السكر .

شرح أرجوزة ابن سینا في الطب — لابن رشد الحفید — نسخة بخط اندلسی قديم .

هذه مختارات مما تفيض به هذه الخزانة العريقة من الذخائر والتحف ، وقد رأيت بعض النفائس وقد عبثت بها الأرضة والرطوبة عبثا شديدا ، ولولا غيرة القائمين على الخزانة — وعلى رأسهم العلامة محمد العابد الفاسی — لانت الأرضة والرطوبة على الكثير من نوادرها ، وهذا رجاء أبعث به إلى الحكومة المغربية الرشيدة — وإيادها على التراث المذكورة مشكورة — أن تولى مزيد اهتمام بهذه الخزانة ، فتبادر بتصوير كل مقتنياتها تصويرا فنيا بعد أن ترممه وتجلده ، ثم رجاء آخر إلى العلامة العابد الفاسی أن يخرج إلى النور هذا الفهرس العلمی القيم الذى صنعه لمحتويات الخزانة ، والذى وظف فيه علمه الفزير وخبرته النادرة ، فلقد رأيت كثيرا من التعليقات الجيدة على أغلفة المخطوطات بقلمه ، أجره الله وجعله في موازينه .

وفي تطوان رأيت مخطوطات المكتبة العامة ، وعددها قليل بالقياس إلى مخطوطات الرباط وفاس ، ومن أهم ما تضمه هذه المكتبة ديوان أبى الطيب المتنبي — بقلم مغربي جميل ، وتمتاز هذه النسخة بأن بها زيادات من شعر المتنبي ليست توجد في سائر نسخ الديوان المعروفة ، فضلا عما بها من ذكر مناسبات القصائد ، وشرح بعض الالفاظ اللغوية ، والتنبيه على المعنى المراد ، والديوان مرتب على حروف المعجم ، ويأوله مقدمة للأديب أبى جمعة المراكشى الماغوسى ، في بيان أهمية شعر المتنبي ، وما له من الخطوة عند ملوك السعديين .

وقد كتب عن مخطوطات تطوان العلامة عبد الله تون ، مقالة مستفيضة تراها في مجلة معهد المخطوطات — الجزء الثانى من المجلد الاول .

هذا ما كان من أمر المكتبات العامة التى عرفتها المغرب ، أما المكتبات الخاصة فتنتشر في حواضر

المغرب وبواديه ، وقد أشار إلى بعضها الدكتور صلاح الدين المنجد في الجزء الاول من المجلد الخامس ، من مجلة معهد المخطوطات .

وقد عرف المغاربة المعاصرون قيمة ما انتهى اليهم من ذلك الارث الكريم ، فتناولوه بالدرس والبيان ، واكتشفوا من خلاله تاريخ الحضارة في بلادهم ، ونفر منهم طائفة تفقهوا في فن المخطوطات ، عجزوا وراءها يجمعونها من الزوايا والصحراء ، ويقيمون حولها الدراسات ، ثم يقدمونها للناس ميسورة الجنى دانية القطاف .

وقد عرفت ثلاثة رجال من اعلام هذه الطائفة : محمد المنونى ومحمد ابراهيم الكتانى في الرباط ، ومحمد العابد الفاسى في فاس ، وهذا تقدمت الاشادة بفضلهم عند حديث القرويين . أما المنونى والكتانى فقد قدما للتراث العربى في المغرب يدا باقية واثرا مذكورا ، فكم اكتشفا من مخطوطات ، وكم صححا من نسبة كتب لغير اصحابها ، ولولا خوف الاطالة لذكرت من هذا وذاك الشيء الكثير ، ثم كانت مساعدتهما المخلصة وعونهما الكريم لكل من يرد المغرب أو يستفتيها من خارجه فلم يحجبا علما ولم يبخلا بنصح .

ويمثل هؤلاء الاعلام الثلاثة الطبقة الاولى في الواقع الادبى المغربى المعاصر ، وهى الطبقة التى تخرجت في القرويين ، واتصلت بالتراث في اصوله الاولى ومنابعه الثقية بعيدا عن عبث المختصرين وضلال المتأولين .

وقد عاشت هذه الطبقة تجربة الحماية الفرنسية بكل مرارتها ، فلم تخدع عن لغتها وتراثها ، وظلت حفية به حريصة عليه مسقزيدة منه .

وبجانب هؤلاء الاعلام الثلاثة عرفت من فحول هذه الطبقة : عبد الله كنون في طنجة ، وسعيد أعراب ، ومحمد داود ، ومحمد بن تاويت — في تطوان ، والرحالى الفاروقى في مراكش ، وعبد السلام بن سودة في فاس ، وفي الرباط : عبد الله الجرارى ، وعبد العزيز بن عبد الله ، ومحمد الفاسى ، وعبد الوهاب بن منصور ، ومحمد بن العباس القباج ، والحاج محمد باحنينى وزير الثقافة ، وهذا الرجل نمط وحده ، فهو اديب مترسل ، تستمع اليه فيحملك الى دنيا حافلة بالنغم الحلو واللفظ المعجب والمعنى الشريف ، وقد اتيج لى أن استمع اليه في أمسية شعرية بالرباط ، قدم فيها الشاعر السورى

الكبير عمر أبو ريثة ، فخلتني مع بيان الجاحظ وترسل ابن العميد ، ولا اعتقد أن لهذا الأديب نظائر كثيرة في المشرق أو المغرب .

وما زالت هذه الطبقة تواصل عطاءها السخي ، وعلى وقع خطواتها سارت الطبقة الثانية من أدباء المغرب ، وهي طبقة أصابت من مائدة القرويين العلمرة ، ثم اتصلت بالمناهج الحديثة وحصلت على أرقى الشهادات الجامعية ، واتخذت مكانها في قاعات الدرس بالجامعة والمعاهد العلمية ، وهذه الطبقة هي أمل المغرب المعاصر ، لما عرفت من وقوفها على القديم واتصالها بالحديث ، وقد أدركت منها :

الاساتذة الدكاترة : محمد بن شريفة ، وعباس الجراري ، وعبد الهادي التازي — في الرباط ، والاستاذ الدكتور عبد السلام الهرايس ، وعبد الوهاب التازي ، والشاهد البوشيخي — في فاس ، والاستاذين حسن الوراكي واسماعيل الخطيب — في تطوان ، وعباس الجراري أكثر هؤلاء اتصالا بالحديث ، مع روافد تراثية خصبة .

ونأتى الى الطبقة الثالثة : كتاب الرواية والقصة والمسرحية والشعر والحديث ، وكتاب هذه الفنون الأدبية في المغرب يعالجونها على النحو الذي تعالج به في مصر والشام والعراق ، وسائر بلاد المشرق سواء بسواء ، من حيث البناء والمضامين والانتماءات الفكرية المختلفة .

وتطالعك من كتاب الرواية والقصة أسماء : عبد الكريم غلاب ، وإدريس الخوري ، وبوشتي حاضي ومن كتاب المسرحية : عبد الكريم برشيد ، ومصطفى الزياح ، ومن الشعراء : محمد الصباغ ، وحسن الطريق ، وأحمد المجاطي ، وعبد الكريم الطبال ، ومحمد السمرغيني ، ومحمد بن ميمون ، ولا شك أن هناك كثيرين غير ما ذكرت ممن عرفت خلال رحلتى الانثنين الى المغرب .

وهذه الطبقات الثلاث من علماء وأدباء المغرب تواصل إنتاجها بثراء وغزارة ، ويجمعها كلها عتاب شديد على أدباء المشرق لأعراضهم وتجاويزهم عما تنتجه القرائح المغربية ، وهذا العتاب يأتيك هامسا رفيقا من طبقة الشيوخ ، وتسمعه صاخبا غاضبا من طبقة الشباب ، فعلى حين يرى الشيوخ أن هذا الأعراض

والتجافي إنما جاء نتيجة عوامل اصطنعت في الأمة العربية اصطناعا لتلفتها عما وجدت عليه آباءها ، وهي الى زوال وانقضاء ، يرى الشباب أنها — الأعراض والتجافي — نغمة من مقام التفوق الثقافي الذي يحس به المشاركة نحو المغاربة ، وآية ذلك هذا السيل من الكتب التي تحمل عناوين توحى بالشمولية ، مثل « دراسات في الشعر العربي المعاصر » من مصر ، و « الشعر العربي الحديث وروح العصر » من العراق ، و « في الشعر العربي المعاصر » من سوريا ، ثم تقرا هذه الكتب فلا ترى فيها ذكرا لشاعر من شعراء المغرب .

وقد كتب الأديب عبد الجبار العلمي ، يرد على الأديب السوري بندر عبد الحميد كلمته التي نشرها بجريدة الثورة السورية ، عن التجربة الشعرية في المغرب ، واتهامها بالانطواء والعزلة ، ومما قاله العلمي : « وأحب أن أقول للسيد بندر عبد الحميد : إن المثقفين المغاربة من أشد الناس حرصا على الاطلاع على النشاط الثقافي في كل الاقطار العربية ، وانهم يلتهمون كل ما يصل الى المغرب من كتب ومجلات وصحف عربية ، وانهم يمثلون كثيرا من التيارات الجديدة ، سواء في القصة أو المسرح أو الشعر ، وإن التجربة الحديثة لدينا تمتع من جميع الاتجاهات ، سواء منها العربية أو الأجنبية . . . وهناك عديد من الأبحاث في كلية الآداب في السنة الأخيرة من الليسانس ، كلها تتضمن شخصيات أدبية معاصرة ، سواء في مصر أو في سوريا أو في العراق » (27) .

وهذا الذي قاله الأديب عبد الجبار العلمي حق كله ، وقد وقفت على إماراته وشواهد في كل المدن المغربية التي زرتها ، فالمكتبات عامرة بآثار المشاركة ، وأحالات الاساتذة الجامعيين وغيرهم من الباحثين على كتابات أدباء المشرق تملأ حواشي كتبهم ، وعلى الجانب الآخر أنظر ما يكتبه بعض المشاركة من دراسات أندلسية أو مغربية ، وسترى خلطا كثيرا واضطرابا بيئا ، أدى اليهما قلة معرفة بالمراجع المغربية الأصلية ، وعدم متابعة لما يجري على الساحة المغربية من نشاط أدبي ومثير .

وليسمح لي الاستاذ العلمي أن انتقل بالقضية الى ميدان أخطر وأجل من قضايا القصة والمسرح والشعر الحديث ، أنها قضية الفكر العربي الشيتي ، والأمة الغافلة عن ماضيها ، الذاهلة عما بدأ بها

ولقد كان هناك تواصل ولقاء بين أبناء هذه الأمة يوم كانت وسيلة الاتصال الناقاة والسفينة ، وحين تقاربت المسافات وطويت الآماد تقطعت أسباب التواصل وانصرف كل في واد ، وقد حدثتكم من قبل عن تاسم ابن اصبح الاندلسي الذي روى عن ابن قتيبة كتبه بمنزله ببغداد ، ويا بعد ما بين الاندلس وبغداد .

ولم يعد هناك من صور التواصل الا ما يكون من تلك المؤتمرات الادبية التي تعقد في عاصمة من عواصم البلاد العربية كل عام او عامين ، تستغرق من الايام سبعة او عشرة ، وتنتهي جلساتها ببعض القرارات والتوصيات التي تذروها الرياح ، بل قد تكشف هذه المؤتمرات أحيانا عن تنافر موحش بين أعضاء الوفود ، نتيجة اختلاف المشارب والاهواء ، واقحام قضايا تجافي روح الادب والفكر .

واذا كانت الأمة العربية تشترك كلها مشرقا ومغربا في مسؤولية التواصل هذه ، فاني أشهد أن المغاربة لم يقصروا ، وما برحوا يمدون ابصارهم الى المشرق ، تكريما لعلمائه وافادة منهم ، فهذه الدروس الدينية الرمضانية التي تلقى بين يدي جلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب ، في قصره بالرباط ، والتي تسمى : الدروس الحسنية ، يدعى اليها كبار مفكرى الاسلام من البلاد العربية ، وقد دعى من علماء مصر هذا العام استاذنا الجليل محمود محمد شاكر — ويسميه بعضهم هناك : شيخ العربية — والباحث الدكتور مصطفى محمود ، وقد حدثني احد منظمي مهرجان ابن زيدون في الرباط ان وزارة الثقافة المغربية قد دعت الى هذا

المهرجان كل من له ادنى صلة بابن زيدون في مختلف البلاد العربية ، وقد دعى من ادباء مصر عدد وفير ليسوا كلهم على صلة بابن زيدون ، بل ان بعضهم لا وجود له فيما يكتب من ادب في مصر هذه الايام ، وقد كانت له ايام ، ولكنها رغبة المغاربة الدائمة في تكريم الاديب المصري ، واجلالهم لماضيه ، وحين زالت الحواجز التي كانت تعوق حركة المصريين اندفع المغاربة في دعوة كثير من اساتذة الجامعات المصرية للافادة من علمهم في قاعات الدرس بالجامعات المغربية .

والحق ان لمصر في الوجدان المغربي رصيذا ضخما من الحب والاعزاز ، تراه انى سرت وحيثما توجهت ، وقد رايت من تعلق المغاربة بكل ما هو مصرى مالا يبلغ كنهه وصف واصف ، ولا يسوء القوم الا اننا نجعل عنهم الكثير ، ولقد قال لى عالم مغربى كبير : اننا نعرف عنكم كل شيء وانتم لا تعرفون عنا اى شيء .

وبعد : فاذا كان المغرب قد حافظ على التراث العربى ، مخطوطات نادرة ونصوصا قيمة ، فانه قد حافظ عليه ايضا ، سلوكا وفضلا ورعاية لواجب الاخوة مهما تباعدت الديار وتناعت الامصار .

وهذه دعوة من فوق منبر « الثقافة » الى ادباء المشرق عامة ، وادباء مصر خاصة ان يلتفتوا لفتة جادة الى ادب اخوانهم في المغرب ، درسا له وبحنا عن مواطن الاجادة فيه ، فما ينبغي ان يظل هذا الركن القصي من الوطن العربى غير محسوب في خريطة الفكر العربى .

- (1) طبقات النحويين واللغويين صفحة 254 بتحقيق الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم .
- (2) المرجع السابق صفحة 256 .
- (3) تاريخ علماء الاندلس — لابن الفرضى صفحة 365 طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- (4) طبقات النحويين واللغويين صفحة 275 (ترجمة عفر بن مسعود) .
- (5) المرجع السابق صفحة 262 ، وايضا تاريخ علماء الاندلس صفحة 296 .
- (6) معجم الادباء 130 / 100 طبعة دار المأمون .
- (7) انباه الرواة على انباه النحاة 2 / 252 بتحقيق الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم .
- (8) فهرست ما رواه عن شيوخه ابو بكر محمد بن خير الاشبيلي صفحة 395 — 397 نشر المكتب التجارى بيروت ، وانظر ما كتبه العلامة حسن حسنى عبد الوهاب ، عن العناية بالكتب وجمعها في افريقية التونسية ، من القرن الثالث الى الخامس للهجرة — مجلة معهد المخطوطات العربية بصر ، المجلد الاول صفحة 72 .
- (9) ابن زيدون عصره وحياته وادبه — للاستاذ على عبد العظيم ، صفحة 508 ، وانظر ايضا الفخيرة لابن يسام — الجزء الاول من القسم الاول ، صفحة 326 .
- (10) مقدمة تحقيق كتاب مختصر العين صفحة ه للاستاذين علال الفاسى ومحمد بن تاويت الطنجى — طبعة الرباط .

- (11) مقدمة تحقيق اليتيمة صفحة 13 للاستاذ الشيخ محمد محبى الدين عبد الحميد ، ومقدمة تحقيق الذخيرة صفحة 1 ، ب للاستاذ الدكتور طه حسين
- (12) مقدمة تحقيق كتاب « التعريف بالقاضى عياض » للاستاذ الدكتور محمد بن شريفه ، ومقدمة تحقيق كتاب « ترتيب المدارك » للقاضى عياض . تحقيق الاستاذ محمد بن تاويت الطنجى — والكتابان من مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالرباط .
- (13) كتب برامج العلماء فى الاندلس — مجلة معهد المخطوطات . المجلد الاول صفحة 118 .
- (14) طبقات النحويين واللغويين صفحة 235 .
- (15) كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون — للحاج خليفة صفحة 1427 طبعة استانبول .
- (16) بقية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة — الجزء الثانى صفحة 428 تحقيق الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم .
- (17) انباه الرواة — الجزء الثانى صفحة 123 ، والصيمرى : بفتح الصاد وسكون الياء وفتح الميم
- (18) على الرغم من غلبة الفية ابن مالك على معاهد الدرس مشرقا ومغربا ، فقد رايت الصبيان فى مسجد الجامع الكبير بمدينة صنعاء — اثناء رحلتى فى العام الماضى الى اليمن — يتدارسون « ملحّة الاعراب » للحريرى صاحب المقامات . وهذه « الملحّة » أشهر نظم نحوى قبل الفيتى ابن معط وابن مالك .
- (19) راجع كتاب الامثال العربية القديمة . تأليف المستشرق الالماني رودلف زلهامى ، ترجمة الاستاذ الدكتور رمضان عبد التواب — صفحتى 151 ، 219 طبعة بيروت .
- (20) طبقات الشافعية الكبرى . تحقيق اخى الدكتور عبد الفتاح محمد الطلو ، وكاتب هذا المقال — الجزء الخامس صفحة 192 ، والسادس 243 .
- (21) الزاوية الدلالية ودورها الدينى والعلمى والسياسى — للاستاذ محمد حجب ، صفحة 25 طبعة الرباط .
- (22) فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات — الجزء الاول صفحة 3 ، وهذا الكتاب النفيس جعله مؤلفه قابوسا عاما لتراجم المؤلفين فى السنة النبوية الشريفة من القرن الثامن حتى اواسط القرن الرابع عشر ، وقد اراده ذيلا على طبقات الحفاظ لابن ناصر والسيوطى .
- (23) ينظر عن نفائس هذه المكتبة مجلة معهد المخطوطات — المجلد الخامس صفحة 174 .
- (24) كتاب الامثال العربية القديمة المتقدم قريبا — صفحة 215 .
- (25) قائمة لتوادى المخطوطات العربية المعروضة فى مكتبة جامعة القرويين بفاس ، بمناسبة مرور مائة والف سنة على تاسيس هذه الجامعة — صفحة 58 طبعة الرباط .
- (26) راجع مقدمة تحقيق مفازى الواقدى للمستشرق الانجليزى الدكتور مارسدن جونز ، صفحة 26 طبعة دار المعارف بمصر .
- (27) الملحق الثقافى لجريدة العلم المغربية — الجمعة 12 رمضان 1395 هـ — 19 سبتمبر 1975 .